عبد الله جفري

نحب الحياة.. فيخطفنا الموت!

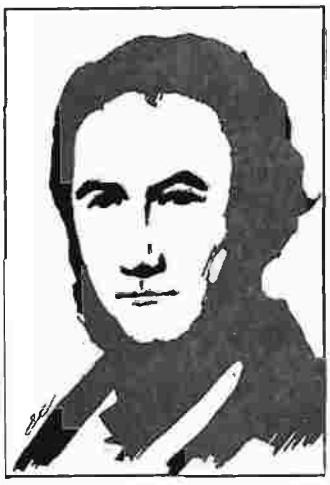

ستندال

نيتشه

في كل بقعة من العالم.. يوجد مايربط كثيرا من أشيائها بأشياء بقعة أخرى، والإنسان لايتجزأ كعصر، ولا يتجزأ كأدوات يستخدمها وكعاون على صعيد الخبرات، والمؤهلات، والتفوق الفكري، والأدوات الحضارية التي يبغي من ورائها تحسين الواقع الحضاري المطلوب!

وإذا كان الفلاسفة القدامى قد أسكوا بأذن الإنسان في ذلك الوقت، وشدوها حتى الاحرار للانتباه إلى الاخطاء الفكرية وإلى العقوبة الوجدانية.. فإن إنسان اليوم يفتقر بلا شك إلى فلسفة واضحة.. ويحتاج إلى من يشد أذنه لتبعيره بأخطاء أكثر فداحة.. وغم أنها تافهة، وساقطة.. ولكنها تعني أخطاء السلوك في المجتمعات وفي التعايش، وأخطاء النفس القلقة.. وانعدام الشعور الذي يملك المقدرة للعودة إلى الطبيعة الانسانية!

● يتضخم هذا كله حتى الهلع.. لماذا؟!

• الأرض تنتهك وتسلب..

• لأن الإنسان يتعذب ويتمزق، ويتفتت في اضطراباته..

• لأن العقيدة تواجه جولة جديدة من الحرب الصليبية، والحرب الإلحادية.. بتخريب من المتخبطين في قلق النفس والروح، ومن المتدينين في بلاغة الثرثرة!

• لأن اللهم أصبحت معرضة للتظاهرين فوق الأرصفة.. يسوقهم تضخم المعاناة الى أبعد من تصور الموعزين اليها، ومن نصور التغلب عليها!

ولا بد أن المجتمع الصناعي هو الذي كان في مقدمة المجتمعات التي أكلتها نيران هذا الاضطراب الخلقي والتفكك الأسري.. ثم امتدت ألسنة اللهب حتى أتت على حوائز الإنسان النبيلة!

ولكن هذا العصر.. وغرائبه، واحتياجاته لابد أن يتحول إلى عصر صناعي.

● فكيف تتضخم نسبة الماديات فلا تطغى على أصائل المعاني؟!

ولكن المفكر والأديب.. لم ينجح أحدهما حتى في «سوق» الأفكار، والتطلعات!!

والكتب التي تصدر في العالم.. أحب أنها لا تدل على عمق قضية الإنسان.. ولكنها «تشرح» فقط كيفية معاناته، ومراحل سقوطه بلا حلول، وبلا مقدرة على التصريب والتأثير والتشذيب!

وهناك عوامل أخرى خفية.. أسهم فيها وتاها الاستعمار والصهيونية والشيوعية للقضاء على بقايا الإنسان النبيل، واستغراره المؤقت، واعتدت على الفلسفات الهادفة الى نوعية الإنسان لتنطلق الى حريته، والى خياراته.. والإنسان المعاصر بكل مستوياته الذهنية.. هو أسير الدهشة والذهول والشلل.. انه يسقط في ممارسة الاحتياجات اليومية المزلزلة!

ولا يمكن - رغم ذلك - أن ننفي وجود «قضية الإنسان» ولكننا نشك كثيرا في ايجاد وعي لتصريبها، وتحليل الحلول لمقدمها، والقضاء على الامتيازات الموجهة ضدها.

انه يوجد وعي «احتياجي».. لكنه لايتخطى المعاناة المجزأة، والمعاناة العاجزة أيضا!

الإنسان يشكو ولكنه عاجز لأنه يتخبط..

والإنسان متعب، وهو لايقدر على توفير الراحة..

والإنسان محتاج، وهو لا يتنازل عن احتياجه الذاتي!

ولقد فشل الإنسان في أن يبدع خطوة جديدة تفك كل قيوده هذه.. المتلائمة مع مطالبه، ونزواته، وضعفه، وبلادته التي تعود عليها!

ماهر نظيف، ماعدا السلوك، ونحاول أن نظهر أمام الاخرين بكل الأناقة الحاذقة.. ولكن أفكارنا تخلو من الأناقة.. لأننا لانقبل تلك الأفكار بالحب، وبالتسامح، وبالأحلام، وبالاعتراف بالناس كحياة!

ومن الصعب أن نراه، ومن الصعب أن نحس الرؤية لهذا الفارق الرفيع جدا!

ومن خلال ارتباط الانسان بقضاياه، وبأمانيه، وبعواطفه، وإدراكه يعبر نربطا مزدوجا بآلاف الصور، وآلاف الطبعات المتناقضة والمكررة، والغريبة.. ولكن «بما» نشعر به في صدورنا، كلما أردنا أن نبتعد عن الناس فنعجز، ونمتزج بالناس فنحزن!

لأن الإنسان لايحتمل الزحام دائما.. فهو أيضا يموت في العزلة إن طالت به، وهذا يعكس حالة الإنسان في معالجة همومه، وفي انفلاتاته كلما شعر أنه من الممكن أن يفرح!

ولابد للإنسان من ظلال يحتمي فيها، ويتلصص من داخلها.. ولكن الإنسان مدعو لأن يغرق ويطفو، ويحس ويتبلد، ويموت ويولد.. لئلا يعترف بشيء واحد في حياته يلتزم به!

حدثوني عن الفرح الكاسر

■■ طوبلا.. لن يكون في عالم الانسان أجنحة تطير به الى حيث السلام الرغيد من أجل الحب، والوعي، والأمان..

سريعا جدا.. سيكون للإنسان ألف وسيلة وتدبير.. لكي تنفطر نحوه، فيكون حقد بعد قليل، وتكون حرب بعد تأمل، وتكون تفاهة في عقول الذين ينتظرون الليل!

● هل حقيقة أنابتنا لا نفكر، وإنما نحن نضع أصواتنا، وننتقل بعد ذلك ونربنا؟!

● هل الانسان فكرة أم قضية؟!

● هل الانسان مناسبة تبدو مريحة أحيانا، وأحيانا أخرى لاتكون المناسبة أبدا؟!

الفكرة ضاعت في الاضطرار..

القضية سقطت في التأخي المتقدم نحو المصلحة..

المناسبة لايملكها الإنسان.. يقدر مايملكه..

إن الاهتمام ليس اختيارا للضعف، وإنما هو الوقت، والدوافع، والاحتياج!

● يبدأ الليل.. ولاينتهي!

■■ هذا الليل.. نغرق فيه ونطفر.. نموت فيه ونولد.. نحس فيه ونتبلد!

الفارق في المقارنة رفيع جدا.. مشدود جدا، فنحن نغرق لنقتل بطوننا، ونقتل بطوننا فنتورط في ألوان من الأمراض.. المعروف منها والغامض، ونحب الحياة فيخطفنا الموت، أو نحب انسانا نعزله عنا مادبات الحياة وأمراض النفس!

نحن - أيضا - نحلم بالمستقبل، وحلم باللحظة السعيدة التي نسلخ فيها من همومنا، ومن التزاماتنا.. ولكن أحلامنا تخضع هي الأخرى للعبة الورق.. فإما أن تتفاءل بحظك، وإما أن تكون بلا حظ.. أي أنك بلا حلم.. بلا أصدقاء بلا عاطفة.. بلا أعداء، وهذه كارثة!

وكثير من أحلامنا.. تخضه ليتفاعل مثل زجاجة الدواء...

وكثير من الناس.. عاشوا بلا أحلام، وماتوا بلا حسرة!

الفارق.. هو كشعرة واهية.. تختفي فوق الثياب الناصعة، وتتضح فوق الثياب المتسخة، ولكننا نحاول دائما أن نلبس كل

خواطر جراح

د. عوض الدحة

كل إنسان لاتخلو حياته من الهموم والأشجان، ولكن هموم الطبيب من نوع خاص. إنها ليست همومه هو شخصيا، ولكنها هموم غيره من الناس، تنتقل إليه بالعدوى، مثلما تنتقل الأمراض.

دموع حول الأسرة البيضاء

والطبيب - بحكم عمله - يختلط دائما بأناس متألمين. ونتيجة لهذه المخالطة، فإن عليه أن يتحمل جزءا من آلام الآخرين، عليه أن يشاركهم أوجاعهم، وأن يعكس - كالمرآة - أحزانهم.

وإذا كان المريض الواحد يحمل هما واحدا، هو هم نفسه، فإن على الطبيب أن يحمل كل الهموم، كأنه البنك الذى يودع الناس فيه أحزانهم بغير حساب.

فهو مهموم من أجل المريض الذى يتألم بين يديه، ومن الجرح الذى ينزف تحت عينيه، والحرارة التى تعلو، والنبض الذى يسرع، والعملية التى تتعثر، والمضاعفات التى تورق والوهن الذى يصيب مرضاه، وأخيرا الموت، ذلك الجبار الذى هو أعتى ما يقابله الطبيب فى صراع من أجل الحياة.

والناس يقصدون الأطباء، التماسا للشفاء، ولكن الطبيب فى كثير من الأحيان يقف عاجزا عن تشخيص الداء، ووصف الدواء، وهو فى غمرة أحزانه يعانى صراعا داخليا عاتيا، ولكن الناس لا يدركون ما فى أعماقه من عناء وشقاء.

وإذا كان الناس يتوقعون من الطبيب دائما أن يكون قادرا على معرفة أوجاعهم، وتخفيف آلامهم، فإن أحدا من الناس لا يكن أن يغفر للطبيب جهله ببعض ما عصى من أمراض.

وما أشد حيرة الطبيب، حينما يقصده الناس لاستشارته ويدفعون ثمن هذا من مالهم، ويقتطعونه من قوت عيالهم ثم هولا يستطيع أن يفعل لهم شيئا، لقاء ما قدموا من مال، ورفاء لما منحوه من ثقة به ورجاء فيه.

ولعل من الأمانة أن نقرر أن الطب لم يكشف الستار عن كل الأسرار، وأن بعض الأمراض لايزال مستعصيا على التشخيص والعلاج، ومن المحزن حقا أن العالم لاينفق على أبحاث الصحة والمرض، عشر ماينفقه على أبحاث الحرب والفناء، والتسابق المجنون بين الكبار، لايزال من أجل وسائل الهلاك والدمار ولا تزال الإنسانية ملطخة اليدين بالدم المسفوك ها هنا وهناك.

ونظرة واحدة إلى ميزانيات الشعوب، تعطينا نكرة حزينة عما خصصه الناس من أجل صحتهم، وما خصصوه للحرب من جهد ومال.

ومن أجل هذا فإن هموم الطبيب لاتزال كثيرة، وكلما بدأ هم وانتهى، عاد مرة أخرى، ذلك أن هموم الطبيب تتجدد مع مرضاه، ومايكاد ينتهى هم حتى يبدأ هم جديد.

والطبيب ليس إنسانا غليظ القلب كما قد يظن بعض الناس، وليس محروما من نعمة الإحساس والإحسان، لمجردأنه يستعمل مبضعا فى أداء رسالته.

وهو إنسان ككل الناس، يحمل فى ضلوعه قلبا حانيا، وتفيض نفسه بالعواطف الدافئة، وتنفعل بأرق المشاعر، مهما فتح من بطون، ومهما أسال - للخير - من دماء. إن عواطفه ليست قاحلة ولا مقفرة، ولكنها تزدهر بالخضرة والنماء.

إنه إنسان يحب أعمق الحب، ويتألم أشد الألم، ويعطف بكل جوارحه، ويقضى ليله مسهدا من أجل مريض لايعرفه، ولكنه يكبت مشاعره، ويقمع خواطره أمام الناس.

كم من ليال يقضيها الجراح مؤرقا مهموما، من أجل مريض يعانى، وقد يكون هذا المريض رجلا بسيطا من الدهماء، وقد يكون حافى القدمين، مهلهل الثياب، ولكنه يثير فى نفس طبيبه أعظم الآلام.

ربما أكثر الأطباء الذين يقفون حول الأسرة البيضاء، يبكون من غير دموع، بل أكثر العبرات التى يسكبها الأطباء فيما بينهم وبين أنفسهم، وعلى مرضى لايعرفونهم، حزنا على ما يقاسونه من شدة وبأساء.

إننا نطلب من الجراح أن يكون رقيق الأنامل فكيف نقبل منه أن يكون غليظ الفؤاد؟

وإذا كانت الأصابع الغليظة لاتؤهل الجراح لأداء رسالته، فكيف تؤهله لذلك غلاظة القلوب؟

■ ولكن المشكلة هى أن الطبيب لايستطيع أن يفصح عن مشاعره أمام مرضاه، ولا هو يستطيع أن ينغمس فى الأحزان وهو معهم، وليس من الممكن أن يستسلم لمشاعره وعواطفه وإنما ينبغى عليه أن يتماسك، وأن يطوى نفسه على الجراح وأن يلعق أحزانه فى هدوء.

وإذا كان مطلوبا من الطبيب أن يكون رحيما غاية الرحمة، فإنه مطلوب منه أن يحتفظ بشجاعته وجسارته، مهما بدا الموقف صعبا رقاسيا، لأنه وحده هو الذى يستطيع أن يمنح الأمل فى الساعات السوداء، وهو القادر على أن يرسم البسمات فوق الشفاه، مهما تلاشت من حوله الآمال.

انى مازلت أذكر شابا جاء لعيادتى ذات مرة وكان يشكو من ورم خبيث بالبطن، وقررت أن أعطيه الأمل، وأن أزيل عبوسه وكآبته، ولقيته لقاء طيبا ودودا، ورفعت من روحه المعنوية، وكانوا قد أتوا به محمولا، وابتسمت فى وجهه وهو يهم بالخروج، وتقدم أهله نحوه ليحملوه، فدفعهم بيديه قائلا: الآن أشعر بالعافية، الآن أستطيع أن أمشى وحدى، ورمقته بنظرات حزينة بينما هو يخرج من عندى ماشيا، يحمل على كتفيه الأمل والرجاء، ويكاد يطوى والق الخطوات.

وكتمت الحقيقة فى نفسى، وذقت مرارة الكتمان.

وطويت قلبى على الجراح، رغم قسوة الجراح.

وما أكثرها من هموم!!

● د. سندى هندى

أنت وبختك

☐ أسعد الناس هذا الأسبوع أصحاب هذا البروج أى مولد برج الحوت

الحمل من ٢١ مارس إلى ٢٠ ابريل

القلب: سحر وجوبة نجوم ورصد سعادة للحب. رحلة فى طريقه إليك

الصحة: قد يعض التريثات الرياضية فى الهواء الطلق.

العمل: تسوية جميع مشاكلك اليومية نجوم سارى ملحوظ.

الثور من ٢٠ ابريل إلى ٢٠ مايو

القلب: أدق ومشاعلات جميلة وهامة حاول أن تتوافق مع الظروف وكن أكثر تفاؤلا.

الصحة: الهدوء هو أحسن علاج لك

العمل: تكون فى الوقت وستعرف كيف تستغل الفرص.

الجوزاء من ٢١ مايو إلى ٢٠ يونيه

القلب: أسرع ما فى حياتك حاول السيطرة على نفسك حتى لا تنزلق شريك حياتك.

الصحة: فى حاجة إلى شىء من الغذاء.

العمل: يسير على الوجه الأكمل

السرطان من ٢١ يونيه إلى ٢٢ يوليه

القلب: لا تعط أهمية للعقبات العابرة فلا داعى للقلق

الصحة: إرهاق بعض التعب ولكن لا داعى للقلق.

العمل: إذا كنت تريد أن تجعل لنفسك قيمة فلا تهتم بالمسائل التافهة.

الأسد من ٢٣ يوليه إلى ٢١ أغسطس

القلب: بعض المشكلات القديمة فى حاجة إلى حل. فاتركها للوقت. بعض التوتر فى محيط العائلة.

الصحة: جيدة.

العمل: النواحى المالية مستقرة. ولكن كن أكثر حذرا.

العذراء من ٢٢ أغسطس إلى ٢٢ سبتمبر

القلب: بعض المشاعلات تقلق حياتك العائلية. سيتفادك بعض الأصدقاء المخلصين

الصحة: أنت فى حاجة إلى طعام غذائى معين.

العمل: الأمور المعلقة فى طريقها إلى الحل.

الميزان من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٢ اكتوبر

القلب: نجاح أكيد يتحقق بحماس الأصدقاء الجدد. استجاب مع شريك حياتك

الصحة: لا داعى لأن ترهق نفسك كثيرا.

العمل: يبدو لك أن عملك سهل وبسيط ولكن أعتمد على من يساندك.

العقرب من ٢٣ اكتوبر إلى ٢١ نوفمبر

القلب: بعض التساهل فى محيط العائلة حاول أن تضحك فى نفسك حتى لا تزيد الأمور تعقيدا

الصحة: أنت فى حاجة إلى بعض الراحة

العمل: مشاريع جديدة. ولكن الهدف هو اتخاذ القرارات

القوس من ٢٢ نوفمبر إلى ٢١ ديسمبر

القلب: لا تحدث الآخرين عن مشاكلك أو مشاريعك الخاصة حاول أن تتجنب الذين يثيرون لك القلق

الصحة: لا تندفع خاصة فى السفر

العمل: بعد أيام من التوتر. ستشعر بالثقة والتفاؤل. ثق فى نفسك.

الجدى من ٢٢ ديسمبر إلى ١٨ يناير

القلب: مشكلة تتفاعل عليك فى طريقها للحل تفاؤل معاملات هامة.

الصحة: لا داعى للقلق

العمل: تقدم ملحوظ وتحسن فى مركزك. يجب أن تحل كل مشاكلك العالقة.

الدلو من ١٩ يناير إلى ١٧ فبراير

القلب: علاقاتك بالأصدقاء تسبب لك القلق. توافق كامل مع مواليد برج الحمل.

الصحة: لا داعى لتعاطى الأدوية. فأنت على ما يرام.

العمل: كن أكثر دبلوماسية.

الحوت من ١٨ فبراير إلى ١٩ مارس

القلب: صفو وانسجام مع من تحب تفاهم كامل مع مواليد برج الثور.

الصحة: علاجك الوحيد هو الماء

العمل: أنت فى حاجة إلى بعض الحب. وطموح الأفكار حتى تواجه مسئولياتك.